المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:01 (2024)، ص374 - 389

مظاهر من الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني في الكتابات الإنجليزية "جوزيف بيتس" أنموذجا

Aspects of the Social Life of the City in Algeria during the Ottoman Period in the Writings of the English "Joseph Pitts" as a Model

ورقة جيلالي زورقي *
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
khaldibelarbi02@gmail.com

بلعربي خالدي
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
w.djilalizourgui@univ-chlef.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/02/29
تاريخ القبول:
2024/04/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحياة الاجتماعية
- ✓ المجتمع الجزائري
- ✓ العادات والتقاليد
- ✓ الكتابات الانجليزية

الملخص:

شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية صراعات مع القوى الأوروبية بسبب نشاطها البحري في البحر الأبيض المتوسط. وقد أدى ذلك إلى أسر أعداد كبيرة من الأوروبيين على أيدي رياس البحر الجزائريين، ومن بين الأسرى الإنجليز كان جوزيف بيتس Joseph Pitts الذي اعتُقل عام 1678 أثناء عودته من نيوفاوندلاند. وخلال أسره في مدينة الجزائر، سجّل بيتس العديد من الملاحظات عن تفاصيل الحياة فيها. وبعد عودته إلى إنجلترا، نشر كتابا بعنوان "رواية حقيقية وصادقة عن عادات المسلمين ودينهم"، صدر في لندن عام 1704. يلقي هذا المصدر الضوء على أوجه متعددة من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر آنذاك. ومما لفت انتباهي تسجيله الدقيق لبعض عادات أهل المدينة الاجتماعية، الأمر الذي دفعني لعرض وتحليل هذه الجوانب للقارئ في هذا المقال. وتشمل تلك الجوانب الشعائر الدينية من صلاة وصيام ووضوء، فضلا عن التقاليد الاجتماعية السائدة في مراسم العزاء وتحية الناس عادات الأكل والزواج وغيرها من مظاهر الحياة في ذلك الوقت.

Abstract:

During the Ottoman period, Algeria witnessed conflicts with European powers due to its maritime activities in the Mediterranean. This led to the capture of many Europeans by Algerian corsairs,among the English captives Joseph Pitts who was captured in 1678 on his return from Newfoundland. During his captive in the city of Algiers, Pitts recorded many observations about life details there. After his return to England, he published a book entitled "A True and Faithful Account of the Religion and Manners of the Mohametans", which was issued in London in 1704. This source sheds light on various political, economic and social aspects of life in Algeria at that time. What caught my attention was his accurate recording of some social customs of the city's inhabitants, which prompted me to present these aspects to the reader in this article. These aspects include religious rituals of prayer, fasting and ablution, as well as prevailing social traditions in mourning ceremonies, people's greetings, eating habits, marriage, and other manifestations of life at that time.

Article info

Received:
29/02/2024
Accepted:
27/04/2024

Key words:
- ✓ Sociale life
- ✓ Algerian society
- ✓ Customas and tradition
- ✓ Writings of the English

*المؤلف المرسل

مقدمة

عرفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني توافد العديد من الرحالة والأسرى الأجانب، الذين خلّفوا وراءهم مذكرات وكتابات قيّمة عن المدينة وسكانها. ومن بين هؤلاء الكتّاب الأجانب، نجد الأسير الإنجليزي جوزيف بيتس، الذي قضى سنوات في الأسر بعدما استولى عليه رياس البحر الجزائريين.

وقد دوّن بيتس ملاحظات يومية دقيقة عن مختلف جوانب الحياة في المدينة، مركّزاً بشكل خاص على الممارسات الدينية والتقاليد والعادات الاجتماعية.

وتكمن أهمية دراسة مذكرات بيتس في كونها تقدّم نظرة إنجليزية عن المجتمع الجزائري آنذاك، مما يساعد على فهم أعمق للحياة الاجتماعية في تلك الفترة. فمن خلال استقصاء انطباعاته وأوصافه للمدينة وسكانها، يمكن إلقاء الضوء على جوانب مهمة من التاريخ الاجتماعي الجزائري في تلك الحقبة. وتتجلى أهمية هذه الدراسة في الإجابة على التساؤل التالي: **ما هي الصورة التي قدّمها جوزيف بيتس عن الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني؟**

1. التعريف بجوزيف بيتس وكتابه

هو أول إنجليزي، وثاني أوروبي يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث[1]. ولد في إكستر **Exeter** بإنجلترا عام 1663م، وأصبح بحارًا محبًا للسفر في سن الخامسة عشرة. وفي سنة 1678م، غادر بيتس إنجلترا إلى نيوفاوندلاند **Newfoundland**. وأثناء رحلته إلى هناك، استولى رياس البحر على السفينة التي كان بها بيتس[2]، فوقع بيتس أسيرًا في يد الجزائريين واشتراه رجل تركي. وحسب ما ذكره بيتس في كتابه: "**كان سيده ضابطًا تركيًا، أي من الحامية التي تجمع الضرائب (فرسان). وكان أثناء شبابه رجلًا ظالمًا لم يترك منكرًا إلا فعله، ولا إثمًا إلا اقترفه، كما كان قاتلًا. فلما تقدم به العمر، قرر أن يكفر عن آثامه بدعوة عبده إلى الإسلام**" [3]. غير أن نظرة ذلك التركي إلى الإسلام كانت سطحية وضيقة، مقتصرة فقط على:

- أن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ، يفعل ذلك وهو يشير بأصبعه السبابة عند قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ[4].
- أن يخضع لعملية الختان.
- أن يمتنع عن أكل لحم الخنزير[5].

وفي عام 1680م، رافق بيتس سيده إلى مكة. وسلك بيتس وسيده طريقًا بحريًا إلى الإسكندرية، ثم أبحر في نهر النيل إلى القاهرة، ومن ثم إلى السويس، ثم إلى جدة[6].وبعد أداء فريضة الحج عاد إلى القاهرة، فأصيب في الإسكندرية بالطاعون، لكنه شفي وعاد إلى الجزائر[7].

وبعدها، بدأ بيتس يفكر في الهروب من الجزائر. فأتيحت له فرصة ذلك عندما أرسل السلطان العثماني إلى الجزائر طلبًا لسفن. وسُمح لهذا الإنجليزي بالركوب على متن إحدى السفن بناءً على خطاب وتوصية من

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

القنصل الإنجليزي توماس بيكر **Thomas Baker** (1690–1694) في الجزائر إلى القنصل الإنجليزي راي **Ray** في تركيا. وبعد فترة عناء في تركيا، أعانه أحد التجار الإنجليز ببعض المال وساعده في السفر إلى بلاده[8].وصل إلى مدينة إكستر في إنجلترا سنة 1693م. وفي سنة 1735م، توفي بيتس بها[9].

ترك لنا جوزيف بيتس كتابًا مهمًا عن الجزائر، صدر في لندن عام 1704، بعنوان:

A True and Faithful Account of The Religion and Manners of The Mahametans.

"رواية حقيقية وصادقة عن عادات المسلمين ودينهم".

يُقدم الكتاب وصفًا دقيقًا للبلاد وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم، من خلال تسعة فصول. تناول الفصل الأول قصة أسره وتعريفًا بالجزائر جغرافيًا وتحصينات مدنها الساحلية. وخصص الفصل الثاني لرياس البحر الجزائريين. ووصف في الفصل الثالث طريقة مأكل ومشرب الأتراك وعاداتهم. أما الفصل الرابع فتحدث عن سكان القبائل وعلاقتهم بالسلطة وزواجهم ونشاطهم الاقتصادي. وركز في الفصل الخامس على تقاليد الزواج والتعليم عندهم وشعائرهم الدينية. أما الفصل السادس فخصص للواجبات الدينية كالصلاة وصيام شهر رمضان. أما الفصل السابع فاستعرض رحلته إلى مكة المكرمة. أما الفصل الثامن فتناول عودته من الحج والحرب بين الجزائر والمغرب. وخصص الفصل التاسع لهروبه من الأسر ومحنته في العودة إلى وطنه.

يُعد مصدر " رواية حقيقية وصادقة عن عادات المسلمين ودينهم " للأسير جوزيف بيتس من أبرز المؤلفات الإنجليزية التي نظرت إلى الإسلام نظرة إيجابية وعملت على تصحيح الصور النمطية السلبية عنه السائدة في إنجلترا آنذاك. لذا فالكتاب بمثابة وثيقة تاريخية قيمة تلقي نظرة موضوعية على حياة المسلمين خلال العهد العثماني.

2. تدين المجتمع

بالنسبة للدين، فهو الإسلام أو المحمدية كما تسميه جل الكتابات الإنجليزية. وفي هذا الصدد، يذكر بيتس: "**العقيدة الأساسية التي يؤمن بها المسلمون هي "لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ". أي أنه لا معبود بحق سوى الله، وأن محمد رسول الله ﷺ نبي الله .فقول هذه العبارة مرة واحدة في العمر، تُغفر بها كل الذنوب، ويضمن للمسلم دخول الجنة، مع أنه قد يمر ببعض الوقت في جهنم لحرق سيئات**" [10]. إلى جانب الشهادتين الأساسيتين في الإسلام، هناك ستة أمور أخرى يجب على كل مسلم الإيمان بها، وإلا استُبعد من كونه مسلمًا حقيقيًا. يقول بيتس: "**أولًا: الإيمان بالله. ثانيًا: الإيمان بملائكته. ثالثًا: الإيمان بكتبه أي كلمته المنزلة. رابعًا: الإيمان برسله أي أنبيائه. خامسًا: الإيمان باليوم الآخر أي يوم القيامة. سادسًا: الإيمان بالقدر خيره وشره. وإنكار أيٍ من هذه الأمور الستة يُستبعد به المسلم من كونه مؤمنًا حقيقيًا. فهذه بالإضافة إلى الشهادتين تشكل العقائد الإسلامية الأساسية التي يلتزم بها كل مسلم** " [11]. بالإضافة إلى ذلك، يذكر بيتس أنه إلى جانب هذه العقائد الستة، هناك العديد من الواجبات العملية مفروضة علي المسلمين، والتي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يلتزم بها الكثير منهم بشكل جيد " **أولًا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ. ثانيًا: سنة في أن يخضع لعملية الختان. ثالثًا: الوضوء قبل الصلاة. رابعًا: أداء الصلاة أو الصلوات على النحو الواجب. خامسًا: إخراج الزكاة (vermek) أي إعطاء جزء من المال من مكاسبهم للفقراء؛ لكن هذا الأمر لا يؤديه إلا القلة بشكل صحيح. سادسًا: الحج إلى مكة المكرمة أي إذا سمحت الصحة والقدرة. سابعًا: صيام شهر رمضان من بين الأوامر الدينية التي يلتزم بها الكثير من المسلمين بدقة** " [12].

3. مكانة المصحف الشريف عند المسلمين

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي. وقد حظي القرآن الكريم بمكانة عظيمة عند المسلمين منذ نزوله. لقد أولى المسلمون عناية فائقة بحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره، وحرصوا على تعظيمه وتبجيله. وهذا ما يذكره جوزيف بيتس: "**فقد كان له تبجيل عظيم لأنه كلام الله. وكانوا حريصين جدًا على المحافظة عليه نظيفًا، وعدم ملامسته الأرض، فإذا سقط سهوًا، سارعوا إلى استرجاعه وتقبيله، ويضعونه على جباههم علامة على احترامهم له** " [13].

كما لاحظ بيتس أن المسلمين الجزائريين يولون أهمية قصوى لحمل مصحف القرآن الكريم بطريقة تليق بمكانته الرفيعة وقدسيته العظيمة إذ يقول: "**عند حمل المصحف، يضعونه في مكان مرتفع ويتجنبون ملامسته إلا بعد الوضوء. وإذا لم يتوفر الماء، يلجأون إلى التيمم وهو مسح اليدين على حجر بديل عن الوضوء، من خلال مرور اليدين على الحجر مرتين أو ثلاثاً كأنهم يغسلونها بالماء. ويكفي هذا التيمم بدلاً من الوضوء بالنسبة للمرضى الذين يعرّض استخدام الماء حياتهم للخطر. وبعد هذا التيمم، يجوز شرعا حمل مصحف القرآن مرة أخرى. كان المسلمون يضعون لأنفسهم هدفًا يوميًا يتمثل في تلاوة أجزاء من القرآن الكريم، بحيث يُكملون ختمة كاملة كل شهر تقريبًا. وبعد الانتهاء من كل جزء، كان القارئ يرفع يديه قليلاً فوق رأسه شاكرًا لله عز وجل على منته وكرمه بتيسير تلاوة كتابه. ثم يمسح القارئ بلطف بأطراف أصابعه، وهو يتضرع إلى الله بدعاء قصير يسأله فيه المزيد من فضله وهدايته**" [14]. وفي هذا السياق، يعرب الأسير جوزيف بيتس عن أسفه لعدم بذل المسيحيين نفس الجهد والحماسة التي يوليها المسلمون في دراسة وتدبر كتابهم المقدس إذ يقول: "**أتمنى أن يكون المسيحيون مجتهدين في دراسة الكتاب المقدس (الإنجيل) كما يفعل هؤلاء**" [15].

4. الصلاة عند المسلمين

لاحظ بيتس وجود التزام ديني خارجي صارم لدى المتدينين من الجزائريين المسلمين، حيث يحرصون كثيرًا على أداء الشعائر والعبادات بانتظام ودقة. بل إن بعضهم ملتزم جدًا بحيث أنه، بعد توبته من الإهمال السابق في شبابه، يسعى جاهدا لتعويض ما فاته من صلوات. يقول في هذا الصدد: "**يستيقظون قبل الفجر بساعة أو ساعتين، وينشغلون بالعبادة بجد ونشاط حتى ينهكوا أنفسهم تمامًا من التعب**" [16].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يصف جوزيف بيتس الصلوات الخمس اليومية المفروضة على المسلمين، والتي يؤدونها بانتظام في المساجد، فيقول: "**تؤدى أولى الصلوات في وقت بزوغ الفجر وتُسمى صلاة الصبح (Sobboh Nomas). أما الصلاة الثانية فتكون قبل الساعة الثانية بعد الظهر وتسمى صلاة الظهر(Ewle Nomas) . والصلاة الثالثة حتى الرابعة مساء وهي صلاة العصر(D'eqinde Nomas). ثم صلاة المغرب مباشرة بعد غروب الشمس المغرب(D' Acsbam Nomas). وأخيرًا صلاة العشاء (Gega) أو(El Asheea Nomas) التي تؤدى بعد نحو ساعة ونصف من منتصف الليل. وتختلف هذه الصلوات في عدد الركعات وكيفية الأداء. لكن المسلمين يلتزمون بأدائها في أوقاتها بانتظام كل يوم**" [17]. كما لاحظ بيتس، لا يمكن أداء الصلاة إلا بعد الاستعداد والتحضير المسبق، مثل الذهاب إلى الحمام والوضوء، إلى جانب ارتداء ملابس خاصة. يصف لنا جوزيف كيفية الوضوء عند المسلمين بالتفصيل، "**فيبدأ بغسل يديه ثلاث مرات، ثم يملأ راحة يده اليمنى ماءً ويدخلها في فمه ثلاث مرات. بعد ذلك يملأها ماءً مرة أخرى وينفخها في فتحتي أنفه ثلاث مرات أيضًا. يغسل وجهه ثلاث مرات، ثم يغسل ذراعيه إلى المرفقين. بعد ذلك يبلل يده اليمنى بالماء ويمررها على رأسه مع وضع يده اليسرى عليه، ثم يغسل يديه مرة أخرى. ويواصل بإدخال سبابة يده في أذنيه ويفركهما من الخلف بإبهاميه، ثم يمرر إصبعيه الصغيرين على رقبته، ويغسل قدميه جيدًا إلى الكاحلين. وفي النهاية، يبلل يديه مرة أخرى ويرفع سبابة يده اليمنى مع قول الشهادتين: "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ**"[18].

لفت انتباه بيتس كذلك الأذان، إذ يقول:" **قبيل كل صلاة، يقف المؤذنون في المآذن انتظاراً لإشارة الإمام، ثم يرفعون أصواتهم عالية، مرددين عبارات الأذان ذاتها، حتى تصل إلى مسامع الجميع: "الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله. حي على الصلاة، حي على الفلاح. قد قامت الصلاة، الله أكبر، لا إله إلا الله**"[19].

يصف لنا أيضًا طريقة أداء الصلاة في المسجد فيقول: "**يبدأ الإمام الصلاة بالتكبير "الله أكبر"، فيردده المؤذن ثم يردده المصلون خلفه. يلمس الجميع آذانهم في وقت واحد كما فعل الإمام، ويتلون الكلمات نفسها لأنفسهم سرًا. ثم يضعون أيديهم على بطونهم، واحدة فوق الأخرى. ثم يقرأ الإمام مقطعًا قصيرًا من القرآن، ثم ينحني معتمدًا يديه على ركبتيه، فيردد المؤذن "الله أكبر". وعند استقامة الإمام مرة أخرى، يُردد نفس التعبير. ثم يضع الإمام يديه على فخذيه وينزل برفق على ركبتيه، ثم يمد يديه على الأرض، ويضع جبهته لتلامسها. وعند هذه المراسم يكرر المؤذن مرة أخرى " الله أكبر". ثم يستعيد الإمام وضعه على ركبتيه ويديه على فخذيه، فيكرر المؤذن " الله أكبر". يؤدي الإمام كل هذه الشعائر مرة أخرى، ويستخدم المؤذن نفس التعابير كما في البداية. وبعد الانتهاء من ذلك، يجلس الإمام ساكنًا لمدة دقيقة تقريبًا، ويداه على فخذيه، ويحدق بعينيه على الأرض، ويقول دعاءً قصيرًا. وفي نهاية ذلك ينظر حوله فوق كتفه الأيمن أولاً، ثم فوق كتفه الأيسر، ويقول "السلام عليكم" عند كل منهما**[20]. يقوم جميع المصلين بتقليد حركات الإمام

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تمامًا من ركوع وسجود، وذلك بتوجيه من المؤذن الذي يراقب الإمام باستمرار ويُعلن التكبير في أوقات محددة. الجميع متجهون نحو اتجاه واحد تجاه الكعبة في مكة. وفي نهاية الصلاة، يجلس الإمام مواجهًا المصلين وظهره للقبلة، ويسبح بمسبحة يدوية مكونة من 99 حبة. بين كل ثلاثة وثلاثين منها حاجز: يقلبونها، ولكل واحد من الثلاثة والثلاثين الأولى يقولون "سبحان الله"، والثلاث والثلاثون الثانية "الحمد لله" والثلاث والثلاثون الثالثة "الله أكبر". وبعد الانتهاء من ذلك كله، يرفع الإمام والمصلّون أيديهم قليلاً بعيدًا عن وجوههم، ويتلون دعواتهم بصمت. وفي النهاية، يمسح الجميع وجوههم بأيديهم، ثم يأخذون أحذيتهم الموضوعة أمامهم استعدادًا للانصراف. وتستغرق الصلاة منهم حوالي ربع ساعة" [21].

إلى جانب ملاحظات الأسير بيتس عن العبادات الإسلامية، تلفت ماريا مارتين**Maria Martin**[22] الانتباه إلى عادة لافتة يمارسها المسلمون، وهي حمل المسبحة في أيديهم، إذ تقول: " **تتكون كل سبحة من حبات يحملها المسلمون ويقومون بتدوير حباتها بين أصابعهم، مرددين دعاءً قصيراً. وتتضمن هذه الأدعية عادةً صفات الله تعالى، مثل: "الله عظيم"، "الله كريم"، "الله رحيم"** [23].

5. صوم رمضان واحتفال بالعيد

يتبع المسلمون التقويم القمري، مما يجعل شهر رمضان يتأخر كل عام عن العام السابق بحوالي عشرة أيام أو أحد عشر يوماً. وهكذا يدور هذا الشهر الفضيل خلال فترة ثلاثين عاماً تقريباً حول التقويم الشمسي بأكمله. يذكر بيتس: "**بعض المسلمين يجهلون علم الفلك تماماً ويعتبرون البحث فيه تجديفاً وغطرسة، وأن الله وحده هو من يعلم مواقيت وبدايات الشهور القمرية. لذلك لا يصدقون رؤية هلال جديد إلا عند مشاهدته بالعين المجردة. وفور رؤية الهلال في المدن الساحلية، يُطلق المسلمون مدفعاً كإشارة لبدء صوم شهر رمضان الكريم. يبدأ الناس بإعداد الطعام ليلاً ويستيقظون في حوالي الساعة الثانية أو الثالثة فجراً لتناول وجبة السحور، ثم يمتنعون عن الطعام والشراب والتدخين حتى نصف ساعة بعد غروب الشمس كل يوم طيلة الشهر. خلال شهر رمضان، لا تختلف الصلوات عن باقي الأوقات، إلا أنه في صلاة العشاء الأخيرة يضيئون المساجد بالمصابيح ويؤدون عدداً كبيراً من الركعات بسرعة**" [24]. ويقصد بيتس هنا صلاة التراويح، التي تُؤدى بعد صلاة العشاء في رمضان.

وقد سجل بيتس الملاحظات حول كيفية التزام المسلمين بصيام رمضان وآدابه، معجب بمدى تمسكهم بهذه الفريضة الدينية رغم كل الصعوبات والتحديات التي قد تواجههم إذ يقول: "**وإن شعر أحدهم بالإغماء من شدة الجوع والعطش، يجوز له أن يفطر ويأكل ويشرب، ولكن عليه بعد ذلك قضاء ما فاته من صيام. مع ذلك، من الأفضل بالنسبة له تحمل الجوع وعدم الأكل قدر المستطاع. كما شاهد عدداً كبيراً من سكان الريف يعملون بجدية تامة طيلة ساعات النهار، في ذروة حرارة الصيف وهم على وشك الإغماء من شدة العطش، ومع ذلك لم يتناول أحد منهم قطرة ماء واحدة حتى موعد إفطارهم. وفي حال حدث وأن أكل شخص أو شرب ناسيًا أنه صائم، فإن ذلك لا يُعتبر مفطرًا، شريطة أن يتوقف عن الأكل أو الشرب فور تذكره بأنه صائم. بل**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إنهم يعتبرون مثل هذا نعمة من الله ويطلقون عليه "وليمة الله" " .وفي هذا السياق يذكر بيتس حادثة وقعت له هو بمكة في رمضان إذ يقول:" **شربت مياه الأمطار التي هطلت على الكعبة كهدية، دون أن أفكر في الصيام. فلما تذكرته بدأت في الأكل أيضاً. فوبَّخني أحدهم قائلاً: كاد الله أن يُكرِّمك بتلك المياه السماوية دون أن يفطر صومك، لكنك ضيَّعت تلك الفرصة بجهلك!** " [25].

يُعد عيد الفطر، الذي يحل بعد انتهاء شهر رمضان المبارك، أحد أبرز الاحتفالات الدينية. وصف القنصل الفرنسي سيزار فيليب فاليار **Cesaire Phillippe Valliere** احتفالات عيد الفطر بأنها «أيام مليئة بالفرح والسرور واللعب والرقص وتناول المأكولات الشهية. فهي مهرجانات حقيقية، وإن كانت قصيرة جدًا »[26]. إلى جانب ذلك، يقيم الداي مبارزة بعد انتهاء شهر رمضان احتفالًا به. يستقبل القناصل في فناء قصره الذي يطل على ساحة المبارزة. يتم اختيار أقوى الرجال كمتصارعين، ويتم دهنهم بالزيت من الرأس إلى القدمين. تُغطى ساحة المبارزة بالرمال، ويُغرس في وسطها علم أحمر صغير. عند إشارة معينة من الداي، وسط ضجيج موسيقى الطبول والصفارات والصنوج، يبدأ المتصارعون بالتواجه فيما بينهم أمام الحضور. بعد الانتهاء من المبارزة، يكافئ الداي الفائز بكيس مملوء بالذهب، بينما تُرمى نقود معدنية صغيرة للخاسرين تعزيةً لهم. ثم تُوزع قطع اللحم الباردة التي يتنافس المبارزون عليها بشراسة أيضًا. إن هذه المبارزة ما هي إلا متعة للداي ورجال بلاطه الذين يستمتعون بمشاهدتها[27].

فيما يتعلق بتقاليد النساء ، فتروي لنا إليزابيث بروتون[28] **Elizabeth Broughton** ، الفتاة البريطانية التي رافقت والديها القنصل هنري ستانفور بلانكي**Henry Stanyford Blankey** وزوجته في رحلتهم إلى الجزائر حينما عُين قنصلاً عامًا لبلاده هناك في الحقبة الممتدة بين عامي 1806و1812م، العادات الاحتفالية التي تميز المرأة الجزائرية خلال عيد الفطر، فتقول: " **في عيد الفطر الذي يأتي مباشرةً بعد انتهاء شهر رمضان، كانت زوجات كبار مسؤولي الداي ونخبة المجتمع في الجزائر يأتين شخصيًا لتقديم صوان كبيرة مليئة بالحلوى والمعجنات الشهية كهدايا. وكان هناك في كل هدية سلتان أو ثلاث من هذه الحلويات** " [29]. وبعد مرور سبعين يوماً من عيد الفطر، يحتفل المسلمون بعيد الأضحى بنفس الحماس والفرح الذي يحتفلون به خلال عيد الفطر، حيث تستمر الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام [30].

6. يوم الجمعة

يوم الجمعة هو يوم مقدس عند الجزائريين. يخطب الشيخ أو كبير العلماء في المسجد على الساعة الواحدة ظهرًا لمدة ربع ساعة تقريبًا قبل الصلاة، ثم يؤم المسلمين في الصلاة كالمعتاد. تُغلق نوافذ المحال التجارية أثناء الصلاة، وينتهي شراء وبيع الناس وعملهم[31].

كما تُغلق أبواب المدن في يوم الجمعة، اعتقادًا بأن ذلك كان وسيلة لحمايتها من الغزو المسيحي. فقد تنبأ المرابطون بأن المسيحيين سينشرون دينهم في جميع البلدان الإسلامية، واعتُقد أن الساعات الأولى من يوم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الجمعة هي الوقت المناسب لحدوث مثل هذا الغزو. لذا أغلق الجزائريون أبواب مدنهم من الساعة العاشرة صباحًا حتى الظهر احترازًا من تحقق هذه النبوءة[32].

في يوم الجمعة، تتوافد النساء بكثرة لزيارة قبور أقاربهن والبكاء والدعاء عندها. كما يقمن بتنظيف القبور وإزالة الأعشاب الضارة من حولها[33].

7. طريقة تحيتهم

لطالما شكلت التحية عنصرًا أساسيًا في التواصل الاجتماعي والثقافي بين مختلف الشعوب. وقد حظيت طريقة التحية التقليدية عند الجزائريين باهتمام كبير من قبل الإنجليز، نظرًا لما تكشفه من رموز ومعانٍ ثقافية. يصف جوزيف بيتس تفاصيل تلك الطريقة قائلًا: "**طريقة تهنئة الأتراك الجزائريين إذا كانوا متساوين هي وضع اليد اليمنى على الصدر الأيسر، مع انحناءة صغيرة وتقبيل خدود بعضهم البعض. إذا جاء شخص أدنى مرتبة لتقديم احترامه لشخص أعلى مرتبة، فإنه يأخذ يد رئيسه ويقبلها، ثم يضعها على جبهته. ولكن إذا كان الرئيس متواضعًا، فسيسحب يده بمجرد أن يلمسها الآخر؛ ثم يضع المرؤوس أصابعه على شفتيه ثم على جبهته؛ وفي بعض الأحيان يضع الرئيس يديه على شفتيه أيضًا .أما بالنسبة للجزائريين، إذا كانوا متساوين، فإنهم يمسكون بيد بعضهم البعض بقوة، يسألون عن أحوال بعضهم البعض؛ ولكنهم لا يسألون أبداً عن أسر بعضهم البعض**" [34].

8. المأتم

لفتت طقوس الحداد والنواح أنظار الرحالة والكُتّاب الإنجليز، الذين راحوا يصفون تلك المراسم بدقة في كتاباتهم. حيث كانت النساء يبدين حزنهن بصدق على المتوفي، فحسب بيتس كانت ممارستهن الحدادية مفرطة بل ربما ضارة إذ يقول: " **النساء المسلمات يبدين حزنًا عميقًا على وفاة أحبائهن، خصوصًا أزواجهن. يرتدي بعضهن ملابس سوداء. ويضعن الزيت والشحم والسخام على وجوههن، مشوهين ملامحهن ومصدرين صراخًا ونحيبًا مرعبًا. وغالباً ما تحضر الجارات لتقديم العزاء، اللاواتي يجتمعن حول المرأة الحزينة، مصدرات ضجيجًا هائلاً يُسمع على بعد نصف ميل. وطوال الوقت، يخدشن وجوههن بظفريهن حتى تسيل الدماء على خدودهن، ويستمر هذا السلوك لنصف ساعة أو أكثر كل مرة، بشكل يومي لمدة طويلة، ثم مرة واحدة أسبوعيًا بعد ذلك**" [35]. وعندما يحين موعد دفن شخص ما، يُحضر جثمانه إلى المسجد وقت صلاة الظهر أو العصر، ويرافقه جميع الحاضرين في موكب الجنازة، مرددين آيات من القرآن، معبرين عن رضاهم بقضاء الله وقدره. يبدو الحزن واضحًا على محيّا ذوي الميت وأصدقائه، فيُعزّيهم الناس بقولهم: "البركة في رأسكم"[36]. تروي لنا ماريا مارتينMaria Martin، الأسيرة الإنجليزية، طقوس الدفن قائلة: " **كانوا يستأجرون نائحات محترفات ليبكين ويندبن على القبور، متسائلات بحسرة عن سبب وفاة الفقيد رغم تمتعه بكل أسباب الراحة في حياته**" [37].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

9. طريقة التعليم

كان الآباء يرسلون أطفالهم إلى المدرسة في سن السادسة لتعلم القراءة والكتابة. كانت الطريقة المستخدمة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة بسيطة للغاية، تتمثل في استخدام لوح رقيق من الخشب، مصقول باللون الأبيض، للكتابة عليه، أما حبر فكان عادةً صوفًا محروقًا قليلاً وممزوجًا بالماء، كان الأطفال يتعلمون الآيات القرآنية ويحفظونها عن ظهر قلب[38].

بعد إتقان القراءة والكتابة، ينتقل الأطفال إلى تعلم القرآن الكريم. وإذا أظهر الطفل كفاءة عالية وتقدمًا غير عادي في دراسته، يحتفل أولياؤه بهذا الإنجاز بطريقة مميزة. يلبسونه ملابس رائعة، ويركبونه على حصان مزين، ويقوده رفاقه في الشوارع احتفالاً بانتصاره. كما يقدمون له الهدايا، ويهتفون باسمه واسم والديه تقديرا لنجاحه وتفوقه[39].

وبعد أن يقضي الطفل 3 أو 4 سنوات في المدرسة، تتفرع مسارات الأطفال حسب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية. ينتقل بعض منهم إلى تعلم التجارة واكتساب المهارات العملية اللازمة لإدارة الأعمال التجارية. بينما يلتحق البعض الآخر بالجيش، حيث يتولون معه جمع الضرائب وغيرها من الواجبات العسكرية. إلا أن عدد من يسلكون هذا الطريق قليل[40].

10. طريقة أكل الاتراك بالجزائر

يصف الأسير الإنجليزي جوزيف بيتس عادات تناول الطعام عند الأتراك الجزائريين بالتفصيل: "**يجلس الأتراك حول مائدة مستديرة منخفضة، لا يتجاوز ارتفاعها عن الأرض سوى بضع بوصات. ويجلسون متقاطعي الساقين على طريقة الخياطين. ويمتد حول المائدة منديل يستخدم لمسح الأيدي. وقبل البدء في تناول الطعام، يردد كل فرد دعاءً قصيراً "بسم الله"، وهو التعبير نفسه المستخدم في بداية جميع الأعمال، مما يدل على مكانة الدين في حياتهم . ويكون اللحم دائمًا متبلاً قبل وضعه على المائدة، دون استخدام ملح. كما لا تستعمل السكاكين أو الشوك. ومن الأطباق الشهيرة التي يصفها بيتس لنا "تريبيزا"، وهو طبق يتكون من قطع اللحم الصغيرة المسلوقة مع الخضروات والتوابل، ثم تُطهى لفترة طويلة. وبعد رفع المائدة، يُقدم لهم كوب من الماء للشرب وإناء لغسل الأيدي والفم. أما بالنسبة للمشروبات، فيمنع الإسلام الخمر ولحم الخنزير، لذا يعتمد الأتراك على الماء والشاي والقهوة كمشروبات رئيسية**"[41]. كما سجل بيتس انطباعاته عن المشروبات الشائعة لدى المسلمين في تلك الحقبة، حيث يقول: "**يكتفي الأتراك عادةً بشرب الماء كمشروب رئيسي، مع إضافة السكر أحياناً لإعداد مشروب مُحلى. كما أنهم مولعون بشرب القهوة بكثرة. ورغم تحريم الخمر في الإسلام، إلا أنه لا يوجد عقوبات رسمية لمن يتناولها. ولكن الأشخاص ذوي السمعة الحسنة والمبادئ الراسخة لا يقتربون منها تماماً لتعارضها مع قيمهم**" [42].

11. طريقة تحضير الكسكس

يُعدّ الكسكسي من أشهر الأطباق المغاربية وأكثرها شعبية، سواء في المدن أو الريف. وقد جذب انتباه الرحالة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الإنجليز، ومنهم جوزيف بيتس، الذي وصف طريقة تحضيره قائلاً: "**يأخذون القليل من الدقيق ويرشون الماء عليه في طبق خشبي عريض، ثم يحركونه براحة يدهم حتى يصبح مثل البذور الصغيرة أو البارود. بعد ذلك، يُوضع الكسكسي في مصفاة ثم تُركّز فوق قدر ماء يغلي على النار مع بقية المكوّنات. وبعد فترة وجيزة، يتصاعد البخار عبر الكسكاس (المصفاة) ويصبح الكسكسي كتلة واحدة. ثم يخرجونه في طبق ويضربونه برفق في الخارج، ثم يخلطونه بالزبدة. أخيرًا، يخرجون المرق وغيره من القدر الذي يغلي ويصبونه على الكسكسي حتى يغطيه تقريبًا بالسائل. يمتص الكسكسي السائل في وقت قصير، ثم يصبح جاهزًا للأكل** " [43].

تصف الآنسة بروتون في كتابها المعنون بـ: "**ست سنوات من إقامة في الجزائر 1806-1812**" «Six years Residence in Algiers 1806-1812» طريقة تحضير الكسكسي بالتفصيل، قائلةً:"**هو كرات عجينة مستديرة، صغيرة الحجم، أصغر من طلقة نارية، مصنوعة من دقيق القمح يسمى "السميد" وليس شعرية، كما أطلق عليها بعض الرحالة المعاصرين. وهو الوجبة الرئيسية في (البربرية) دول المغرب العربي**" يطلب إعداد هذا الطبق التقليدي عناية ومهارة خاصة في التحضير، لضمان نكهته المميزة وقوامه الرائع .وقد لاحظت الآنسة بروتون هذه العملية الدقيقة لتحضير الكسكسي، حيث تشرح خطوات تحضيره بالتفصيل قائلة: "**بدءًا من تنقيع الكسكسي بالماء لبضع دقائق، ثم تجفيفه بقطعة قماش وفركه جيدًا بالزبدة. ثم يُوضع في الكسكاس ويطهى بالبخار حتى ينضج تمامًا. بعد ذلك، يزال من الكسكاس ويفرك مرة أخرى بالزبدة. يقدم الكسكسي في طبق عميق، ويُوضع الدجاج واللحم والخضار في وسطه، وتُسكب المرق عليه. يُزيَّن الطبق بالبيض المسلوق مقطَّعا إلى أرباع طوليًا**" [44].

تقدم الآنسة بروتون أيضًا طريقة تحضير المرق التي تقدم مع طبق الكسكسي، إذ تقول: "**يتم أخذ لحم نظيف ودجاج متبل جيدًا بالتوابل المختلفة، إضافة إلى حبة قرنبيط مقطعة وخرشوف (كرفس) وفص ثوم وجزرتين وحفنة حمص. يوضع الخليط في قدرة ثم يغطى بالماء البارد وتوضع فوقه قطعة قماش (كسكاس)، وما إن يبدأ البخار بالارتفاع حتى يتم وضع الكسكسي لينضج بالبخار**" [45].

وهكذا تقدم الآنسة بروتون وصفًا شاملاً لطريقة تحضير هذا الطبق، مبرزة المكونات الرئيسية للمرقة الشهية التي تقدم مع الكسكسي.

12. عادات الجزائريين

شكلت كتابات الرحالة والزوار الأجانب مصدرًا مهمًا لنقل ثقافات الشعوب وتصوير عاداتهم وأنماط حياتهم. غير أن هذه الرؤى الخارجية كانت في كثير من الأحيان متحيزة أو ناقصة، حيث حكمت بعض الكتابات على المجتمعات بناءً على انطباعاتهم السطحية. وفي هذا السياق، نجد الأسير جوزيف بيتس يصف الجزائريين بأنهم: "**شعب كسول، فبعد انتهاء فترة البذر، لا ينشغلون سوى بانتظار الحصاد**"[46]. ويؤكد الرحالة ماثيو كيري[47] الذي زار الجزائر في بداية سنة 1794م، هذا الوصف بقوله: "**إن الرجال والنساء في الجزائر يميلون**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى قضاء وقت كبير في الراحة والاسترخاء. فالرجال يجلسون لساعات طويلة يتناولون القهوة ويدخنون، بينما تقضي النساء أوقاتهنّ في ارتداء الملابس والاهتمام المستمر بمظهرهنّ وزيارة الحمامات وقبور أقاربهن والتنزه في الحدائق" [48].

إلا أن هذا الوصف لا ينطبق تمامًا مع الواقع، فالشعب الجزائري شعب نشيط ومجتهد، يعمل بجد في مجالات الزراعة والتجارة والحِرَف. وهذا ما أكده الرحالة توماس شاو **Thomas Shaw**[49] بقوله: "**إنهم يستيقظون باكرًا لأداء صلاة الفجر، ثم يذهبون إلى العمل حتى موعد الفطور، ويعودون مرة أخرى حتى صلاة الظهر التي تتوقف فيها الأعمال. ثم يأخذون قسطًا من الراحة بعد صلاة المغرب قبل النوم**" [50].

13.الزواج

كانت حفلات الزفاف في الجزائر خلال العهد العثماني مناسبات احتفالية مليئة بالعادات والتقاليد المرحة. تمتزج تلك الاحتفالات الموروثة بين عادات العرب وتقاليد الأمازيغ وشعائر الإسلام، ولهذا لفت انتباه الكثير من الزوار الإنجليز الذين جاؤوا إلى الجزائر سواء كانوا رحالة أو أسرى أو دبلوماسيين. إلا أن تلك العادات والتقاليد لم تكن ترق للأسر الإنجليزي جوزيف بيتس الذي كان يرى في أعراسهم أنها مملة بالنسبة للمسيحيين. ويذكر أثناء حديثه عن عادات الزواج في الجزائر: "**أن الزوج كان ممنوعًا عليه رؤية المرأة التي يريد الزواج منها قبل العرس، وبمجرد اتفاق الزوج مع والد الفتاة، يذهبان إلى القاضي ليوقِّعا على وثيقة بموجبها يدفع مبلغًا معينًا، وبهذا تنتهي مراسيم الزواج دون حفلات أو إجراءات أُخرى**"[51]. ونظرًا لجهل جوزيف بتس بتقاليد المسلمين، فقد اعتبر المهر بمثابة ثمنٍ يُدفع لشراء العروس كسلعة.

يصف الرحالة الإنجليزي ماثيو كيري إحدى الطقوس التقليدية المصاحبة لحفل الزواج في الجزائر التي شاهدها، حيث يقول: "**يقدم العريس المستقبلي قطيعاً من الماشية هديةً إلى والد العروس، ثم تركب العروس على صهوة جواد وتمسك عصاً موجهة نحو الأرض، وتردد بعض الكلمات التي تُعبِّر فيها عن التزامها تجاه زوجها المستقبلي، وأنه لا شيء سوى الموت يمكن أن يبعدها عنه. بعد ذلك، تقود العروس قطيع زوجها إلى بركة ماء قريبة، في مشهد يرمز إلى استعدادها للقيام بواجبات الزوجة. ثم يحتفل الجميع بهذا الحدث السعيد. وبعد إتمام الزواج، ترتدي الزوجة الحجاب وتبقى في المنزل لمدة شهراً تقريباً، امتثالاً للتقاليد**"[52].

تُعد رواية ابنة القنصل بلانكي لحفل الزفاف الذي حضرته لابنة رئيس القضاة من الروايات الفريدة والدقيقة لمثل هذه المناسبات. فبفضل كونها امرأة، استطاعت ابنة القنصل الاختلاط بالنساء ومشاهدة تفاصيل لم يتمكن غيرها من الرحالة الذكور من رؤيتها. تقول ابنة القنصل عن ذلك الحفل الذي ذهبت إليه: "**العروس مخلوق رائع. وجدتها محاطة بحشد من السيدات الأكثر أناقة**[53]. **لقد أُبهِر بصري في الواقع بروعة المجوهرات التي تزين بها. وكانت قبعاتهن مغطاة بزهور الورد أو الياسمين، أو ريش الطاووس، أو الفراش، المصنوعة جميعها من الماس. وبالفعل افتقرت إلى القدرة على وصف العجائب التي رأيتها، فقد كان المشهد لا يصدق. لقد دهشني أيضًا عدد النساء الجميلات بينهن. فجمالهن يقارب جمال الأوروبيات، وعيونهن أكثر**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بريقًا وجمالًا من أي عيون رأيتها من قبل. ولا شيء يضاهي لطفهن وكرم ضيافتهن. جلست على الأريكة المنخفضة نفسها التي جلست عليها العروس. وبعد وصولنا بوقت قصير، قُدِّمت لنا القهوة والحلويات[54]. ثم بدأت فرقة من المغنيات تستخدم نوعًا من الغيتار، وطبلة غريبة الشكل تُدعى "دربوكة" مصنوعة من الفخار، وبعض الدفوف، وفي تلك اللحظة دخلت راقصة محترفة إلى وسط الغرفة، وبينما هي تلوح بمنديلين مطرزين في كل يد وتديرهما حولها، كانت تعوج جسدها في جميع الاتجاهات دون تحريك قدميها تقريبًا. وبعد فترة وجيزة انضمت إليها راقصة أخرى، وفعلت مثلها. وراحتا تغنيان، لأن فكرة أن سيدات محترمات وذوات مكانة ترقصن بأنفسهن تتنافى مع معايير الأدب التي يتبعنها. أما الراقصات، فهن من فئة أدنى، ومهنتهن أن يظهرن أنفسهن للتسلية والترفيه مقابل المال. بعد فترة من هذا المشهد، صعدت العروس، التي تقودها أهم السيدات إلى غرفة، وراحت رفيقاتها يُجرين تغييرات كبيرة على ملابسها ومظهرها[55]، مضيفات زخارف على قبعتها المزينة وأخريات يغطين وجهها الجميل بكميات وافرة من المساحيق، ثم دُعيتُ، من خلال السيدة الإيطالية المرافقة لي، لزيارة العريس، ووافقت بسرور. وبعد المرور تحت سلسلة من ستائر الديباج والحرير والموسلين، وجدنا العريس[56]. ومع اقتراب وقت دخول العروس، عدنا إلى حجرتها، فوجدنا الاستعدادات قد اكتملت تقريبًا. فقد أضافوا إليها المزيد من المجوهرات. وعندما غادرت الغرفة، غطوا رأسها بغطاء بنفسجي حريري رائع مطرز بالذهب واللآلئ والأحجار الكريمة. وقُيدت بهذا اللباس إلى باب حجرة العريس، وسط صراخ الحاضرين جميعًا lia, lai, lai, lella "ليا، ليا، ليا، ليلا"، وهي الطريقة التقليدية التي يُعبّر بها الضيوف في الزفاف عن فرحهم الشديد. ثم رُفع الستار، وقادوا العروس محجبة الوجه لتجلس على يسار العريس الجالس. ثم أزالت إحدى السيدات البرقع عن وجهها، فرأى العريس زوجته لأول مرة. ثم اقتربت امرأة عجوز كانت قد شاركت بنشاط في الحفل بأكمله، وأخذت من يد امرأة أخرى إبريقًا فضيًا صغيرًا يحتوي على ماء الورد[57]، وتقدمت نحو العروس مخاطبةً إياها. فمدّت العروس كفيها مفتوحتين، فملأتهما المرأة العجوز بماء الورد. ثم التفت العريس نحوها وشرب الماء من يدي العروس. وقام العريس بنفس الطقس، حيث شربت العروس من يديه. وطيلة تلك الفترة، استمرت صيحات الزغاريد "ليلا، ليا، ليا، ليلا" بالتردد، من الداخل والخارج. وبهذا انتهت مراسم زفاف هذين الزوجين وودع الجميع" [58].

وتستكمل ابنة القنصل وصفها الدقيق لملابس العروس فتقول: " غارقة في ثراء الذهب واللآلئ الفاخرة. فقد كانت مزينة بقبعة ذهبية رائعة تتدلى منها سلسلتان من اللآلئ الباهظة الثمن على جانبي وجهها الأنيق، بينما رقبتها مغطاة بالجواهر النفيسة تمامًا. وكان زيها يتألف من أثواب أو قفطانات قصيرة بلا أكمام، مشدودة ببساطة عند الخصر، وسروال أنيق، وشال مطرز بخيوط ذهبية كانت نهايتاه مربوطتين على الجزء الأمامي من خصرها، مع تدلي باقي الشال كتنورة. وأما أكمام قميصها فكانت من الموسلين المطرز وعرضها كبير بحيث ترفع خلف قفطانها وتُعقد معًا في ثنية أنيقة. وأما قدماها فكانتا عاريتين وتحوطهما أساور ذهبية ثقيلة على الكاحلين"[59].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاتمة

وعلى ضوء ما تقدم نستنتج:

قدم لنا كتاب "**رواية حقيقية وصادقة عن عادات المسلمين ودينهم**" للأسير الإنجليزي جوزيف بيتس، صورة عن الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. وقد سلط الضوء على الشعائر الدينية، والعادات الاجتماعية، وأنماط الحياة اليومية للمجتمع الجزائري المسلم.

تكشف ملاحظات بيتس عن التزام عميق بالدين الإسلامي بين الجزائريين، حيث يلتزمون بأداء الصلوات الخمس اليومية، ويصومون خلال شهر رمضان، ويحجون إلى مكة المكرمة. كما يوضح الكتاب أهمية العادات والتقاليد الاجتماعية، بما في ذلك الزواج وطقوس الحداد المليئة بالمشاعر.

وعلى الرغم من بعض التحفظات التي أبداها بيتس على بعض الممارسات الاجتماعية، إلا أنه أعرب عن إعجابه بالإيمان القوي والالتزام الديني للمجتمع الجزائري.

كان المجتمع الجزائري متشبثاً بعاداته وتقاليده التي ورثها عبر الأجيال، وهذا ما يتجلى لنا من خلال عاداته وتقاليده في الاحتفالات التي تُقام في المناسبات الخاصة مثل الأعراس والأعياد الدينية كرمضان. تعكس هذه العادات الوضع الاجتماعي والثقافي والديني للمجتمع، وتلقي الضوء على القيم والمبادئ التي تحكم حياة الأفراد في هذا الوسط.

الهوامش:

1 عبد الرحمن عبد الله الشيخ، **رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص 7.

2 Augustus Ralli**, Christiansat Mecca**, William Heinemann, London, 1909, p40.

3 Joseph pitts, **A True and Faithful Account of The Religion & Manners of The Mohametans**, Second Edition, Printed by George Bishop, Exon, 1717, p154.

4 Ibid, p 156.

5 عبد الرحمن الشيخ، المرجع السابق، ص 9.

6 Augustus Ralli, op.cit, p 41.

7 Ibid, p 45.

8 عبد الرحمن الشيخ، المرجع السابق، ص 10.

9 Augustus Ralli, op.cit, p 46.

10 Joseph pitts, op.cit, p 58.

11 Ibid, p 60.

12 Ibid, p 61-62.

13 Ibid, pp 36-37.

14 Ibid, pp 36-37.

15 Ibid, pp 35.

16 Ibid, p 40.

17 Ibid, p 41.

18 Ibid, pp 42-43.

19 Ibid, p 44.

20 Ibid, pp 45-46.

21 Ibid, p 47.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

22 **مريا مرتين:** امرأة بريطانية من أصول أرستقراطية، ولدت ماريا عام 1779 لعائلة ثرية. تزوجت عام 1797 من الكابتن هنري، قائد إحدى السفن التجارية البريطانية في الهند الشرقية. كانت ماريا تتطلّع لاستكشاف أنحاء العالم، فرافقت زوجها في رحلة بحرية عام 1800 على متن سفينة يونيكورن، إلا أنّ السفينة تحطّمت بفعل الأمواج الهائجة، فوجد الركاب أنفسهم عالقين على سواحل مدينة تنس الجزائرية، حيث أُسرت ماريا هناك لمدّة 6 سنوات. وفور عودتها إلى وطنها، سجّلت ماريا تفاصيل محنة أسرها في كتاب أسمته "ست سنوات في الأسر بالجزائر". للاستزادة ينظر إلى:

Maria Martin, **History of The Captivity and Sufferings of Maria, Who was six years a slave in Algiers,** Printed for W.crary , Boston, 1807, PP 41-42.

23 Maria Martin, op.cit, p 49.

24 Joseph pitts pp 64- 65.

25 Joseph pitts, op.cit, pp 65- 66.

26 C.Ph.Valliere, **L'Algerie en 1781**,villa beau site valbertrand, Toulon,1974 , p 33.

27 Elizabeth Broughton, **Six years Residence in Algiers**, second edition, Saunders and otley conduit Street, London, 1840, p18.

28 **بروتون إليزابيث:** وُلدت السيدة إليزابيث بروتون بلانكي في عام 1800م، وهي ابنة هنري ستانفورد بلانكي، القنصل البريطاني في الجزائر. رافقت عائلتها إلى الجزائر وهي في السادسة من عمرها، حيث احتفظت والدتها بمذكّرات عن حياتهم هناك. وبعد وفاة والدتها، شعرت إليزابيث بأهمّية مشاركة هذه المذكّرات مع العالم، مُضيفةً ملاحظاتها الشخصيّة. وبالرغم من صغر سنّها إبّان إقامتها بالجزائر، إلا أنّها احتفظت ببعض الذّكريات الدقيقة الّتي أضفت عمقًا وثراءً على كتابة والدتها. وقد نُشِرَت مذكّرات والدتها عام 1839م في لندن، تحت عنوان "**ستّ سنوات من الإقامة في الجزائر**". للاستزادة ينظر إلى:

Jean Martin, « **Six ans de résidences à Alger, 1806-1812** », académie de science d'outre-mer, ed, Bouchene, 2010, p1

29 Elizabeth Broughton, op.cit, p 426.

30 C.PH.VaLLIERE , op.cit , p32.

31 Joseph pitts, op.cit, p 49.

32 Dr Shaw, **Voyage dans la Regence d'Alger. Ou description gépgraphie, phisique, philologique, etc. de cet état**, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, chez Marlin, Paris, 1830, p 143.

33 Joseph pitts, op.cit, p 51.

34 Ibid, pp 53-54.

35 Ibid, p 33.

36 Shaw, op.cit, 102-103.

37 Maria Martin, op.cit, p 49.

38 Joseph pitts, op.cit, pp 34-35.

39 Shaw, op.cit, p 78.

40 Ibidem.

41 Joseph pitts, op.cit, pp 18-19.

42 Ibid, p 20.

43 Ibid, p 30.

44 Elizabeth Broughton, **Six years Residence in Algiers, second edition**, Saunders and otley conduit street, London, 1841, pp 420-421.

45 Ibid, p 421.

46 Joseph pitts, op.cit, p 28.

47 **ماثيو كيري:** وكاتب وناشر أيرلندي (1760م–1808م)، اضطُرّ للفرار من أيرلندا إلى فرنسا بسبب انتقاده لقوانين العقوبات ضدّ الكاثوليك. عمل هناك في مطبعتَيْ بنيامين فرانكلين وديدو. ثمّ عاد إلى دبلن وتولّى إدارة مجلتين، لكنّه سُجن لمعارضته السُلطة. فهرب سنة 1784م إلى أمريكا وأسّس الكثير من الصحف والمجلات. زار الجزائر عام 1794م وكتب كتاب "**ملخّص تاريخ الجزائر**"، نُشر في فيلادلفيا العام ذاته. للاستزادة ينظر إلى:

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

John R. Shook, **The Dictionary of Early American philosophers**, Volume 1, Printed and bound in the United states of America, 2012, p 179. And
Lawrence Flick, Selections from The Correspondence of the deceased Mathew Carey Records of the American Catholic Historical society of philadelphic, Vol 9 ; N° 3, Septembre, 1898, pp 351-354.
48 Mathew Carey**, A Short Account of Algiers, Containing a Description of the Climate of That Country , of The Manners and Customs of the in Habitants, and of Their Several Wars Against Spain , France , England , Holland , Venice, and other Powers of Europe, From their usurpation of Barbarossa and The Invasion of Emperor Charles v , to The Present time with a concise view of the irigin of the rupture between Algiers and the unitedstates**, Philadelphia, 1794, p14.

49 **توماس شاو:** عالم بريطاني بارز ولد عام 1692 وتوفي 1751، كان القسيس توماس شاو رحالة كبيرًا زار الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر. درس شاو في جامعة أكسفورد وتعلم العديد من اللغات. وفي عام 1720 أصبح قسيس البعثة الدبلوماسية البريطانية في الجزائر. اهتم شاو اهتمامًا بالغًا بعلم الآثار والتاريخ الطبيعي والنبات وعلم الفلك. قضى 12 عامًا من حياته في شمال أفريقيا بين عامي 1720 و1730 ويُعد من أشهر المستكشفين الأوروبيين الذين زاروا تلك المنطقة. للاستزادة ينظر الى:

Zehor Zizi, **« thomas shaw au Proche-Orient, 1721-1722 ; élucidation et défense des textes sacrés, in XVIIe et XVIIIe »**, Revue de la société d'études anglo-américaines de XVIIe et XVIIIe siècle, N° 67, 2010, pp21-22.
50 Shaw, op.cit, p 124.
51 Joseph pitts, op.cit, p 31.
52 Mathew carey, op.cit , pp 11-12.
53 Elizabeth Broughton, op.cit, p 20.
54 Ibid, p 21.
55 Ibid, p 22.
56 Ibid, p 23.
57 Ibid, p 24.
58 Ibid, p25.
59 Ibid, pp 7-8

بيبليوغرافيا:

1- عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (1995)، **رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

.Heinemann, London William **Mecca,** Augustus Ralli,(1909),**Christiansat**

1- C.Ph.Valliere,(1974), **L'Algerie en 1781**,villa beau site valbertrand,
2- Dr Shaw,(1830), **Voyage dans la Regence d'Alger. Ou description gépgraphie, phisique, philologique, etc. de cet état**, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, chez Marlin, Paris. Augustus Ralli,(1909),**Christiansat Mecca,** William Heinemann, London.
3- Elizabeth Broughton,(1841) Six years Residence in Algiers, Second Edition, Saunders and Otley conduit Street, London.
4- Jean Martin,(2010) **« Six ans de résidences à Alger, 1806-1812 »**, académie de science d'outre-mer, éd, Bouchene.
5- John R. Shook,(2012),**The Dictionary of Early American philosophers** , Volume 1, Printed and bound in the United states of America .
6- Joseph pitts, (1717), **A True and FaithfulAccount of The Religion &Manners of The Mohametans**, Second Edition ,Printed by George Bishop, Exon.
7- Lawrence Flick,(1898),**Selections from The Correspondence of the deceased Mathew Carey Records of the American,** Catholic Historical society of philadelphic, Vol 9 ; N° 3, Septembre.
8- Maria Martin , (1807),**History of The Captivity and Sufferings of Maria, Who was six years a slave in Algiers,** Printed for W.crary , Boston.
9- Mathew Carey,(1794),**A Short account of Algiers, containing a description of the climate of**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

that country , of the manners and customs of the in habitants, and of their several wars against spain , France , England , Holland , Venice, and other powers of Europe, From their usurpation of barbarossa and the invasion of emperor charles v , to the present time with a concise view of the irigin of the rupture between Algiers and the united states, philadephia.
Toulon.

10- Zehor Zizi, (2010), **« Thomas Shawn au Proche-Orient, 1721-1722 ; élucidation et défense des textes sacrés, in XVIIe et XVIIIe »,** Revue de la société d'études anglo-américaines de XVIIe et XVIIIe siècle, N° 67.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)